الموقع وتطور المشهد العمراني لمدينة تيهرت "القديمة" خلال العصر الإسلامي الوسيط.

The Location and évolution of The urban landscape of The city of Tihert during the medieval Islamic Era.

عباد محمود / جامعة الأمير عبد القادر _ قسنطينة.

Abbadmahmoud38@gmail.com

الملخص:

يهدف محتوى هذا العمل السريع إلى مناقشة مسألتين هامتين في تاريخ القاعدة تيهرت القديمة (وليس مدينة العاصمة الرستمية المشهورة بتيهرت الحديثة)، وذلك سيكون من حيث تتبع الإحداثيات التاريخية المعلن عنها في مصادر كتب الرحلة والوصفيين والتاريخ العام حول المقعد الذي حازت عليه المدينة منذ ما يسبق الفتح الأموي للمجال خلال ستينيات القرن الأول الهجري (681م)، ومتابعة للبحث عن إمكانية تطور وصف اتجاهه وصولا إلى رؤيته اليوم، هذا أولا، أما في جوهر القضية الثانية وإن كانت تبدو معقدة نسبيا سنحاول على ضوء بعض المعلومات الشحيحة الكشف عن مجمل التطورات التي تحصل عليها الفضاء العمراني، خصوصا فيما يتعلق بالفصل بين بناءات المدينة القديمة وما ظهر عليها من الإنشاءات المستحدثة خلال العصر الإسلامي الوسيط.

تيهرت _ تيهرت القديمة _ الجغرافية التاريخية _ العمران _ المدن الوسيطية _ الإباضية.

Abstract:

This brief studuy aims to discuss two important points in the history of the ancient Tihert base (but not the well-known Rostemmides capital of the modern Tihert). This study will be made through following the cues found in the historical references to understand; First, the stature of city Tihert befor the Omeyyad conquest in 681 A.D. In the other hand we will try to reveal the architectural evolution to form a mean of distinction between the old constructions of the archaic city «Tihert » and the new ones built during the medieval islamic era.

إن الاقتناع الإباضي بتنصيب المدينة تيهرت _قيد الدراسة_ بعيدا عن الساحل المتوسطي لا يبدو يختلف عن السياق التاريخي العام الذي أنجب العديد من المدن الداخلية بفعل تحكم ظروف جيوسياسية كانت متشابهة إلى حد كبير، خصوصا خلال المرحلة المتقدمة من العصر المغاربي الوسيط، ولقد لخصها أستاذنا البروفيسور علاوة عمارة في عامل رئيسي وحاسم يتمثل في العودة إلى تطبيق التقسيم البيزنطي المرتكز أساسا على محور الخط الدفاعي، بالإضافة إلى الابتعاد عن خطر البحر لغياب ثقافة التعامل فيه[01]. ولقد تجسد لقضية الجماعات الإباضية الفارة من معركة القيروان سنة (144هـ/761م) عامل اندفاع إضافي كان لابد أن يميل بهم عن خطر متابعة العباسيين المستحوذين بالكاد على كامل مناخ إفريقية نحو أكثر المناطق الداخلية المعقدة تضاريسيا، وبالتحديد في جبل سوف-أجج[02] حيث يوجد هناك أيضا تفاعل مع المجتمعات المحلية الريفية[03]، بما قضى في النهاية إلى تمكين أنفسهم بالتوافق على اختيار موقع بيزنطي موروث عن الرومان[04]، بعد عناء شديد راوح ما يقارب 18 سنة من عدم الاستقرار[05].

يبدو أن رهبة الدراسات والبحوث الحديثة[06] من اجتياح هذه المدينة "المنسية" في تمحيص يعتمد على تحقيب زمني هو أمر له ما يبرره نوعا ما أمام ندرة المعارف التاريخية، بالإضافة إلى الخلط الرهيب الموجود في النقول المتأخر عن عصر النشاط بين المدينتين "الجارتين" تيهرت أو ما يعرف "بتحفظ" تيهرت القديمة والحديثة[07]. لكن ومن أجل البحث عن أهم البدائل لكسر هذا التمكث اتجهنا إلى الاعتماد على مقاربات جديدة إلا ولابد منها في معظم أعمال الجغرافية التاريخية، بما في ذلك مبحث الطوبونيميا (اسم الموقع) والمقارنة بين الزوايا الطبوغرافيا لكل وجه مدينة مع السياق التاريخي والجو السياسي الذي تكون خاضعة له،كما يجب الاعتراف منذ البداية أن هذا الجزء من الاجتهاد الطويل على المجال الحدودي مع الصحراء هو نتاج عمل لأشهر من التفكيك والتركيب والنقد لمضمون المصادر.

أولا: موقع المدينة في أعلى جبل جزول.

إن الطلائع الأولى لتحديد موقع المدينة لم تظهر إلا مع بلوغ مرحلة القرن الرابع هجري (10م) وتحديدا مع نوع معين من المؤلفين الجغرافيين المشارقة، تقدمهم الرحالة الإصطخري (346هـ/957م)[08] من خلال بثه إشارة تضيئ أن موضع المدينة أقرب ما يكون إلى إقليم بني مزغنة ونكور في حال ما يتم مقارنته مع مربع تقادمت،[09] وهو ما يفسر أن مقعد مدينة تيهرت على خارطة محاولة ضبط المواقع التاريخية ستكون إلى الجهة الشمالية الشرقية من مركز العاصمة الرستمية الجديدة، وهذا بطبيعة الحال إذا قمنا بتتبع المسلك الذي يربط ما بين هذه الأخيرة ومدينة ايكوسيوم التي تمت نسبتها إلى جماعات بني مزغنة[10].

بعده بقليل تقدم الرحالة ابن حوقل (ت بعد 367هـ/977م) في جغرافيته المشهورة بصورة الأرض[11] إلى عرض وصف شرح فيه أن منزل المدينة قائم على رأس جبل ليس بالعالي[12]. ونحى قصده في ذلك العزيزي (ت.380هـ/991م) الذي حرر كتابه المشهور بالمسالك والممالك أو ما يعرف أيضا بكتاب العزيزي عطاء لمسؤوله الخليفة الفاطمي الخامس العزيز بالله، مع توظيفه لزيادة مهمة في استعمال مقاربة مجالية من شأنها أن تقضي إلى خلق رؤية ولو تقريبية حيث يوجد الموقع، وهو ما يتجلى في محتوى حديثه أن "مدينة تاهرت الأولة [الأولى] على جبل متوسط والمسافة بينها وبين مدينة أشير أربعة مراحل[13]".

إن من بين الأمور الملاحظة أن التركيز في هاتين الشهادتين جاء على الجانب الطبوغرافي الجبلي كسمة بارزة في هذه المدينة، ودونما نقاش كثير أن الجبل المقصود هنا هو شاهق جزول[14]، الذي سبق وأن تعرض اليعقوبي (ت نحو 284هـ/897م) إلى تفسير امتداده في

السلسلة المحاذية للصحراء منذ ما يزيد عن القرن تقريبا، خصوصا فيما يتعلق بالطبونيم من خلال عرض كلمته بوجود "جبل متصل بالسوس، يسميه أهل السوس درن، ويسمى بتاهرت جزول، ويسمى بالزاب أوراس[15]"، وأيضا بينه بعد ذلك البكري بفترة وبنفس هذا الطوبونيم[16].

إن نص البكري الذي تعود معطياته إلى القرن الرابع الهجري (10م) باعتباره أحدث نقل عن الكتاب الضائع لمحمد بن يوسف الوراق (ت363هـ/974م)، نلتمس منه تقديم محددات مجالية تتسم بالدقة أكثر مقارنة مع سابقيه، بحيث تطرق إلى عرض مؤشرين؛ في الأول بين أن العاصمة الرستمية تيهرت السفلى أو ما يعرف لديه أيضا بالمدينة الحديثة توجد منها على مسافة خمسة أميال مدينة تيهرت القديمة، وفي الثاني علق على أن هذه القاعدة المجالية موجودة في الناحية الشرقية من معسكر عبد الرحمان بن رستم[17]، وهو ما ينطبق اليوم بشكل مطلق حيث التعمير الحديث لعاصمة الولاية تيارت. أما بالنسبة أخيراً لنص الإدريسي العائد إلى منتصف القرن السادس الهجري (12م) فهو عبارة عن نسخ محتمل من وصفية ابن حوقل والإصطخري فيما يتعلق بالمدينة لدينا، وذلك نتيجة للتطابق الكبير في المعلومات المسرودة، مع أنه يوجد اختلاف وتطور سلبي واضح على هيئة الموقع خلال مرحلة عصره[18].

إذا كانت النصوص العربية المحررة قبل القرن 18م يكفيها أن تشير إلى الواجهة التي يجلس عليها الموقع فقط، فإن التحول العميق الذي سيشهده الفضاء المحيط خلال النصف الثاني من القرن 19م بما هو شكل من أشكال التوطين، صاحبته أيضا انطلاقة سريعة في التعمير العسكري والمدني في تشكيل أيقونة المدينة الحديثة، يجعل الأمر صعب وفي نفس الوقت يستدعي اعتماد محددات تتسم بالدقة أكثر من أجل الوصول إلى مكان ما هي عليه اليوم.

لقد ساهمت تقارير الإدارة العسكرية الفرنسية بمعطيات ذات أهمية في هذا الجانب بالتخصيص. ففي البداية نلاحظ أن الضابط أزيما (Azéma) في الإرسالية المؤرخة يوم 26 أفريل 1843م كانت له مساهمة جد مهمة من خلال وَشْمِهِ لأفكار حول المنظر العام للخرائب التي وجدت ملقاة في ساحات الموقع، غير أنه لم ينتج تحديدا كبيرا لجغرافية الموقع العام لأثار المدينة المنكسرة باستثناء إذاعه أنها تقف على جانب من وادي تيارت[19]. ومن وراء ذلك يجب الفهم أن الأمر طبيعي جدا في هذا الوقت أن تحافظ مثل هذه الشهادة على نفس النسق الكلاسيكي في تحديد الموقع العام، والسبب في ذلك واضح لعدم تداخله مع عمران آخر، كما أن فصيلة المدفعية العسكرية التي كان يقودها أزيما تحت إشراف الكولونال لاموريسيار (Lamoricière) هي من ستعمل على إعادة تعمير وتأهيل الموضع بما في ذلك القلعة الرومانية القديمة التي سيتم أخذها كمقر عسكري لمراقبة التحركات المحتملة جنوب كتلة الونشريس وسهل سرسو، بعد فراغ حضاري عظيم يقدر بحوالي (09) قرون من الزمان. وبالتالي سيحدث انطلاقا من هنا تحول تلقائي في طريقة التحديد وحتى في شكل الموقع الأثري بعد هذه الهزة مباشرة.

مع نهاية سنة 1861م وبالضبط في شهر سبتمبر منح فيسات (Vayssettes) تقرير مهم أيضا للغاية حول الرحلة التي قادته من نقطة بوغار شرقاً إلى تلمسان غرباً، وكانت له وقفة عند المنشأة التي قد أصبح من الصعب لديه الحصول على فكرة لأجل محاولة ضبط حدود اتجاهاتها[20]، ومن دون شك أن هذا نتيجة حتمية لمدة (18) سنة من التشييد السريع للمدينة الأوروبية التي غطت في جوانب عديدة منها حيازة مدينة العصر الوسيط. في المقابل نجد أن دولابلونشار (de la Blanchére) في جولته سنة 1883م لدراسة جانب من

تاريخ موريطانيا القيصرية، أرشد بأن أنقاض المدينة كانت تمتد من عند الهضبة حيث يوجد المعقل على حافة الوادي بالقرب من المكتب العربي، وعلى الجانب الآخر في الجزء العلوي من القرية الإستطانية[21].

إن ما يقدمه هذا الأخير ليس تحقيق لما فشل فيه فيسات من قبل، وإنما الواجب هنا أن ننظر إلى شهادة دولا بلونشار بمحاذرة، على اعتبار أن هذه المقاربة المكانية ليست هي بالضرورة ضبط كامل ودقيق لموقع مدينة الفترة الوسيطية، بل هي مجرد احتضان للموضع الروماني القديم _ كجزء من داخل المدينة الرستمية _ الذي أصبحت تشتغل عليه المؤسسة العسكرية الفرنسية. ولقد تعاطى دوكوساد (De Coussade) شيء ذو فائدة حول هذه المسألة من خلال ملاحظاته سنة 1851م حول أثار الاستيطان الروماني في المنطقة، فهو يشير بكل وضوح أن المركز العسكري اشتغل على جزء من الموقع بمواد ذات أصل روماني[22]. ومن هذه المعلومات يمكن القبول بفكرة أن الفرنسيين أعادوا الاعتبار فقط لعمران الحصن الذي حافظ على تواصله كمؤسسة عسكرية إلى غاية ما بعد الاستقلال.

بعد منتصف القرن (20م) نظر أن الباحث الفرنسي بيار كادنة (Pierre Cadenat) الاختصاصي في أثار الفترة القديمة ومدير المقاطعة الأثرية بتيارت خلال المرحلة المشمولة ما بين (1952-1962م)[23] نشر له مقال حول واحدة من أشكال الدفن الرومانية في مجلة الأثار الإفريقية سنة 1969م، وكان قد وضح من خلاله الحدود المتاخمة للموضع القديم بعدما فقدت أثار مدينة العصر الوسيط مكانتها بشكل غير قابل للاصطدام[24]، وهو ما نجده يتوافق إلى حد كبير مع المخطط العام لمدينة تيارت الذي نشرته أيضا إدارة الجيش الأمريكي سنة 1943م[25]. أما في الوقت الراهن لاشك أن الموقع هو المكان الذي تشتغل عليه المدرسة العسكرية لضباط صف الإشارة (L'école des officiers de transmissions) انطلاقا من سنة 1980م، والذي سيحمل فيما بعد اسم الشهيد حمايدية الطاهر بداية من سنة 2014م.

ثانيا: تطور المشهد العمراني للمدينة.

1_ القلعة الرومانية القديمة.

أثناء زحف الإباضيين من المنطقة الخلفية بجبل سوف-أجج لأجل تنصيب قاعدتهم الخاصة في تيهرت التي كانت الأولى من نوعها في بلاد الغرب الاسلامي بعد عمل دراسة جدية ومعمقة[26]، لم يظهر على أنصار الزعيم ابن رستم تحاشيهم الكامل لما وجدوه ناهض من مراكب المقاومة القديمة هناك في الحظوة، ولاشك الأمر يبدو منطقي إلى أبعد الحدود خصوصا وأنهم ما يزالوا يعانون من تهديدات القوى الشرقية "العباسية" في جهة يعلم الجميع أنها أقل حماية طبيعيا مقارنة بما كانوا عليه في منطقة التلول الوعرة. في المقابل إن النصوص التاريخية المسجلة حول توطين الحصن من البلدة تشكل لنا اليوم حلقة مظلمة، ولا تسمح لوحدها بتقديم امتدادات جغرافية عقب تغير جذري شهده الموقع والضاحية معا، وهو ما ألزمنا لننتظر كثيراً حتى بلوغ سنة 1843م عندما أهدى الضابط الفرنسي أزيما (Azéma) رسم مهم حول المخطط العام لبقيا أثار الموقع. (*شاهد المخطط*)

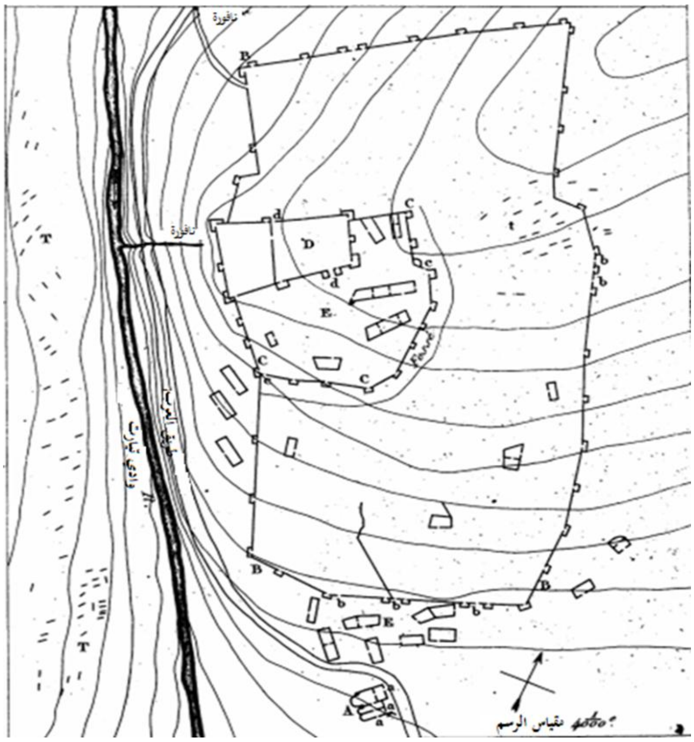

المخطط العام لأثار منطقة تيهرت الأعلى حسب أزيما «Azéma» سنة 1843م

A . المبنى.
B . تحصين المدينة.
C . بدايات التحصين للمخيم .
D . القلعة أو المعقل.
E . تأسيس المباني العامة والخاصة.
T .قبور رومانية محفورة على الصخر.

a . باب المبنى. A.
b . باب تحصين المدينة. B.
c. باب التحصين. C.
d . باب التحصين. D.
t . مقبرة عربية .

من خلال التصميم الظاهر أمامنا يمكن أن نلاحظ مقر الحصن في الجهة الغربية أين يميل نسبيا إلى الاستحواذ أكثر على الشمال من المساحة العامة للقاعدة، ويؤكد مثوى هذا التحديد ما لوح إليه روني كانيا (René Cagnat) في كتابه المنشور سنة 1892م حول مسائل الجيش الروماني بإفريقيا، بحيث استند على مجموعة مهمة من المعطيات الميدانية والتقارير الحربية، بالإضافة إلى اعتماده فكرة مخطط أزيما السابق، وخلص في النهاية إلى نتيجة حاسمة وهي أن هذا الحصن الذي يحوي على انخفاض نسبي هو فعلا يشكل الموضع القديم من المدينة(27).

حتى نتفطن جيداً إلى وضع الحصن خلال الحقبة الوسيطية محل اهتمام هذه الدراسة لا بد من الدلالة إلى معرفة مهمة حول اعتماد المصادر التاريخية على نوعين من الطوبونيم وهما:

ــ **حصن إِغْزَرْ**: إن الامهان الوحيد لهذا الطوبونيم في مصادر الأخبار جاء بطيء نسبيا، فهو يعود إلى بدايات القرن الثامن الهجري (14م) عندما لوح ابن عذاري إلى إعادة الفتح الجديد للفاطميين مدينة تيهرت سنة (316هـ/928م) بعد أن شهدت هي الأخرى انتفاضة محلية قوية كان قد خطط لها السكان بتدبير، حيث قال أنه "فتح أبي القاسم بن عبيد الله حصن أغزر(28)". كما يبدو من الجلي أن هذا الاستخدام الاسمي في عمقه التاريخي مستل من اللغة الزناتية "الشلحية" التي ترتبط هنا بالمظهر الهيدروغرافي، لاسيما وأن الحصن منزلته تبدو مؤكدة بالقرب من الوادي الذي كان قد عبر عنه البكري بطوبونيم تاتش(29)، وهو ما أضحى يعرف اليوم بوادي تيارت، وبالتالي فإنه ينتج عن حصن أغزر ما يكون في معناه الحصن على حافة الوادي(30).

ــ **حصن برقجانة**: لقد ثبت استخدام هذا الطوبونيم لأول مرة في جغرافية البكري خلال القرن الخامس الهجري (11م) بطريقة يمكن تأنيبها بعدم الكافية في اظهار التحليل، فهو يشهر بالحرف الواحد أن "تيهرت القديمة، وهي حصن لبرقجانة، ... إن بشرقيها حصناً لبرقجانة، وهو تيهرت القديمة(31)". ومع ذلك يستنتج أنه لم يأل أي جهد في الإشارة إلى بداية هذا الاستخدام الطوبونومي على الحصن،

والذي تبقى نسبته على ما يبدو إلى واحدة من الجماعات الغريبة نوعا ما في تحديد سلالتها[32]. وبعد أزيد من قرن نلاحظ أن الحموي نسخ خطاب البكري لكن بتصحيف واضح إلى "حصن ابن بخاثة[33]"، وهذا ما يبدو بعيد عن الصواب بطبيعة الحال.

بالكاد لا توجد معطيات مصدرية واضحة حول مكونات الحصن وحضور التوطين الحضري في الداخل خلال القرون الأولى الهامة من التاريخ الهجري، فباستثناء ثلاثة اشارات بقيت محفوظة في نص كرونولوجيا البيان المغرب لابن عذاري نكاد نجهل المبنى جملة وتفصيلا، والجدير بالملاحظة أنها قد اقترنت جميعا بمراحل الأحداث الهامة التي تسيدت المشاهد التاريخية في الموقع.

نجد أن الأولى توثق لعملية الفتح الأموي للمنطقة في سنة (62هـ/681م)، ويظهر من خلال المضمون أن الحصن كان يحوي مدخل تم التعرض إليه عندما ألحق القائد عقبة بن نافع الخسارة بجيش بقايا التحالف البيزنطي-الموري في ناحية من سهل سرسو بعدما "سبقتهم خيل المسلمين إلى باب مدينتهم، فأفنوهم وقطعوا أثارهم[34]" لكن من دون أن يعرض لنا الكاتب أي تحديد من قدره أن يكشف لنا عن الجهة التي كان يخترقها الباب! وعما إذا كان للحصن منفذ واحد وإلا أبواب متعددة ؟

من خلال المخطط المرهون في الأعلى؛ نجد أزيما يوضح بدقة أن الحصن اشتمل على بابين، الأول يخترق السور الجنوبي ويبدو أنه ذو أهمية بحكم الانفتاح الاستراتيجي على المنطقة السهلية قديما، مع احتمال وارد أن يكون هو نفس الباب الذي نوه إليه ابن عذاري منذ قليل، كما يعتبر مسلك الاتصال الميسور مع مركز المدينة الوسيطية. أما الباب الثاني فيستند على حائط الشمال، والظاهر أنه أقل أهمية مقارنة مع الأول.

إنه لمن الملاحظ أن يشير ستيفان قزال (Stéphane Gsell) بعد مضي 68 سنة إلى وجود باب واحد فقط يقتحم الجهة الجنوب ولا يناول توضيح لغياب المدخل الثاني[35]، مع أنه من غير المستبعد أن يكون قد خضع إلى تحول المشهد العام للبناء إثر تنصيب المركز العسكري للقوات الفرنسية على الموقع.

هذا ولاشك أن الحصن أصبح يأخذ قيمته الدفاعية من الموروث الروماني خلال فترة إحكام السيطرة الفاطمية على المجال، وذلك من خلال محاولة الحفاظ على التبعية الإقليمية أمام المعارضة المحلية الشرسة[36].

حسب شهادة نص ثانية بالموازاة مع سنة (299هـ/911م) تَبدى أن الكتامي دواس بن صولات عامل الخليفة المهدي بالله على تيهرت لما أحاط بمباطنة بني دبوس لمحمد بن خزر ودعوته إلى دخول المدينة لأجل اجتثاث عناصر الهيمنة الفاطمية، لكن وبعد كشف ملابسات المؤامرة كان قد عوقب المتهمون بأسرهم داخل هذا الحصن[37]، بما يعني من دون أدنى شك أن المركز اشتمل على دور حبس داخلية، يبقى من الصعب تحديد البدايات الأولى لاستخدامها.

وأخيرا حسبما صرح به ابن عذاري عند سنة (316هـ/928م) أن الحاكم القائم بأمر الله الفاطمي أهلك سور الحصن في محاولة لكسر الاستتار واستعادة الهيبة الإسماعيلية على الفضاء التيهرتي بعدما افتقدتها لمدة وجيزة، وفي هذا ننقل ما عرضه حرفيا في حديثه: "ونقب السور عليهم حتى سقط، وهلك ممن كان تحته وفوقه عدد كثير، فلما نظروا إلى الغلبة أحرقوا الأمتعة، وعرقبوا الدواب والمواشي، وقاتلوا الشيعة حتى قتلوا وأُسر منهم من استأسر وانتهب ما في الحصن[38]"، وبالتالي من خلال هذا النص يمكن أن نستقصي حجم

الممانعة وراء صلابة السور، هذا من جهة ومن ناحية أخرى يظهر أنه تضمن مجموعة لا بأس بها من الأبراج حسب ما جاء في عبارة هلك ممن كان تحته وفوقه. لقد ركز كثيرا أزيما في مراقبة هذا الحصن وبين في محتوى تقريره أن البناء جيد على الرغم من أيدي الثورات البربرية التي لم تتخلى عنه دون أدنى شك[39]، ما يعلل بالنسبة لنا أن التهديم الذي أرشد إليه ابن عذاري كان جزئيا فقط، كما أنه من غير المستحيل أن تكون الحكومة الفاطمية هي من عملت على إعادة هيكلته مرة أخرى لأجل صد خطر زناتة النصرية عموما وبنو خزر منهم بشكل خاص.

على حد سواء، فإنه ليس يوجد من بين الشهادات القديمة أو الوسيطية ما يضمن تحديد لطول وعلو السور، بما يجعل من المجازفة اقتراح رقم يكون غير مؤكد. أما بالنظر إلى ما تحويه بعض التقارير الفرنسية التي استخبرت الموقع حديثا نجد أنه من الممكن أن تعطي لنا نوع من التعريض في الموضوع، فمثلا فايسيت (Vayssettes) خلال زيارته للمكان خلال سنة 1861م قام بتقدير سمك الحائط بما يساوي 2،5م[40] وهو نفس الحساب الذي أكده قزال بعد أقل من نصف قرن بعد ذلك[41].

وبالاعتماد دائما على النص السابق لابن عذاري، فإنه يشير إلى وجود مخازن كانت معدة لأجل ضمان حماية الأمتعة من النهب والسرقة، ومن غير المستحيل أن تكون على هيئة غرف، بالإضافة إلى احتواء القلعة على مرابط خاصة بالدواب والماشية[42]، كما يكون من المحتمل جدا أنه قد خلقت مجموعة من البيوتات الصغيرة التي بلا ريب أنه احتاجتها جماعات برقجانة في مواصلة التوطين إلى نهاية الحصن[43].

2_ المسجد الجامع.

من الاحتذاء المعروف سلفا عند أكثر الجماعات المسلمة وعلى خلاف توجههم الفكري وحتى المذهبي في ابتداع معالم مدينة إسلامية إلا ويتم تأكيد اختيار وتحديد مكان تنصيب المسجد الجامع أولاً. وكان من الطبيعي بشكل خاص أن يُسجل حضوره في سرة الموضع محل التعمير بأبعاد مضبوطة ولأسباب موضوعية جداً، ثم تطلق من حوله الخطط والدروب وباقي المرافق الحياتية، ويختتم في الأطراف بالتحصين الذي يمثله السور المحيط بما يحمل على ظهره من أبراج للمراقبة. لكن يبدو أن هذه المدينة ستُظهر خصوصيات جديدة قد لن يكون من السهل تحليلها.

نستطيع أن نفهم شيء مهم، وهو أن تشييد المسجد الجامع لم يكن مباشرة على أنقاض ما بقي من البنايات القديمة، بحيث نفسر ذلك ونحن نلاحظ أن الجماعات القادمة بعد نزول الموضع أخذت على عاتقها تصفية وإحراق الأشجار التي عبرت عنها النصوص الوسيطية بالشعراء والغياطل لما تحمله من قوة الالتهاب في حضورها[44]، وبهذا يبدو من غير المقبول أن نتوقعها وهي داخل الحصن القديم باعتباره حديث عهد بالتوطين.

يذكر الدرجيني وإن كان متأخر جدا عن زمن التأسيس الأول للقاعدة علامة جد هامة في نفس سياق موضوعنا، بحيث يعرض أنه تم اختيار أربعة محلات "فأقرعوا عليها أيها يجعل المسجد الجامع، فوقعت القرعة على المكان الأول الذي اصلحوه لصلاتهم فبنوا الجامع به[45]" فمن خلال هذا السند النصي وحتى في ظل غياب الدليل القاطع فإن طريقة اختيار موضع من الأربعة بواسطة القرعة دليل واضح على أن الجماعات الإباضية لم تكن تولي أهمية بالغة _ مع احتمال وجود محاولة تقريبية _ لضبط منزلة المسجد الجامع من المدينة، وتحديدا

في منطقة القلب، كما لا يمكن بأي حال من الأحوال أن نتخيل اجتباء المسجد الجامع كموقع في خطوة أولى وبأي شكل من الاعتماد سيتحكم في توزيع الخطط خلال وقت لاحق، هذا ولابأس أن نذكر بأن شكل التمصير مرتبطة أساسا بمركز دفاعي قديم لابد أن يكون بجانب من الموضع وبحيز جغرافي ضيق كان قد تم إصلاحه منذ أيام.

وفي الوقت ذاته لا يمكن على الإطلاق أن يصح ربط هذا الايماء بخصوصية الفكر الإباضي على اختلاف تعاقب أزمنته، وما يدعونا لنعرب عن هذا الفهم بالذات سوى لما يفسره بعض المهتمين في محاولة لخلق مقاربة جديدة مع مساجد بلدات وادي ميزاب وانعزالها عن التجمعات الكبرى بما يشبه وضعية تيهرت، لكن دون تقديم ما من شأنه أن يهب أفضلية هذا الطرح[46]، بل إن ما جاء في شهادة المقديسي الذي يحدد موقع المسجد الجامع على مقربة من سوق المدينة حيث تكون الفوضى المنظمة يستطيع لوحده أن يبطل ذلك بالجملة[47].

على أية حال يظهر أن مشروع تنصيب القاعدة تيهرت هذه قد خالف الخطوط العريضة التي يفترض أنها كانت تعتمد "ولا تناقش" في بناء مدن لها سبق التأسيس، كما هو الحال مثلا مع ما يميز الكوفة والفسطاط وحتى القطب القيرواني[48] الذي يعتبر من دون فقدان للذاكرة منزل للعديد من الإباضية قبل أن تكون نقطة تحول اضطراري للبحث عن محل صالح كالذي هو في تيهرت. والحاصل أنه ليس يوجد في جميع معارفنا ما يثبت أن المسجد الجامع كان وسط المدينة[49].

أما بالنظر ــ على سبيل الاستئناس ــ إلى خواص الأحكام الفقهية الإباضية التي لا تتلخص في القطر المغربي لوحده، نرى أنه لا مانع لديهم أن يستحوذ المسجد الجامع على أي طرف من المدينة غير الوسط، وفي هذا البعد الدلالي يجود علينا الباحث محمد عبد الستار عثمان بأمثال عن هذه الرؤية المتطابقة في مدينة سامراء والبعض الآخر من الأقطاب الإباضية المشرقية التي نُصب بها المسجد الجامع بجوار البوابة الرئيسية من الداخل[50]، وبالتالي إذا كان هذا الأسلوب يسهل على الغرباء الصلاة مع أهلها دون المساس بخصوصية وحرمة المدينة، فمن المحتمل كذلك أن يكون المسجد في المدينة تيهرت بالقرب من السوق سوى لنفس الغرض. وربما حتى هذا العامل المذكور يقيس احتمال آخر يكون فيه كلاً من السوق والمسجد مشرفين على الباب الرئيسي في الجهة الجنوبية الغربية.

من الأمور الملاحظة أن شهادات النصوص المختلفة لا تقدم في مضانها أخبار كفيلة للتأكد ما إن أكمل المهندسون الإباضية بناء المسجد الجامع قبل أن تراوحهم فكرة التحول لتعمير مربع تاقدمت، وهو ما يطرح لدينا استفهام حول وضعية المسجد خلال هذه المرحلة المبكرة بالذات؟

في رواية كان قد نقلها الدرجيني دونما تحديد مصفى لمصدرها، تطرق فيها إلى ذكر نمط القرعة لأجل اختيار مكان بناء المسجد بعدما تعددت أمامهم المواضع، وهي من الابتكارات التي لم يسبق الاعتماد عليها من قبل ولا حتى من بعد ذلك، حيث قال أنه "وقعت القرعة على المكان الأول الذي أصلحوه لصلاتهم، فبنوا الجامع به ثم أخذوا في إنشائها وعمارتها فجعلوها ديارا وقصورا[51]". يبدو من البديهي أن هذه القصة التي تحمل في مضمونها صورة إتمام تنصيب مدينة بأكملها ضعيفة جدًا، خصوصا وأن المؤلف نفسه يعرب بكل شفافية أنه التمس الخلاف بين المرويات التي سمعها حول مسألة تعمير قاعدة تيهرت هذه[52].

على الأرجح أن هذه المؤسسة الدينية لم تنجز كاملة إلا بعد فترة من الانقطاع الذي نجهل بالضبط كم دامت مدته، لأن ما وصلنا في صورة الحاح من قبل نصوص تاريخية متنوعة عن ميكانيزمات التحول لتعمير الموضع الثاني لمربع تاقدمت تقول أنهم "كانوا يبنون بالنهار فإذا جن الليل وأصبحوا وجدوا بنيانهم قد تهدم فبنوا بعد ذلك تاهرت السفلى[53]". وبغض النظر عن صحة الأسباب فإن وضعها هذا المنهار يقودنا إلى إدراك كافي لمجمل التطورات التي شهدها الهيكل العمراني خلال هذه الفترة من التاريخ تحديداً.

وبما أن أول الأئمة عبد الرحمان بن رستم أخذ على عاتقه طَوال السنوات الأخيرة من عمره على تطوير مدينته الجديدة، أعتقد أن يكون خليفته الإمام عبد الوهاب لوحده من يستحق أن نرجحه ليكون الأقرب ممن أكمل خطة بناء المسجد الجامع مع إدخال تغيرات جديدة على مساحة البناء بعد العقد السادس من المائة الثانية للهجري (08م) لما عرفته الدولة في هذه المرحلة من ازدهار حضاري شمل مختلف المرافق الحياتية[54].

إن الجري وراء البحث عن كينونة هذا المسجد الجامع عقب تحول البلدة عاصمة الرستميين سنة (296هـ/908م) إلى عاصمة كورة فاطمية، سنجد أنه بقي يحافظ على نفس وتيرة العمل خدمة لبقيا العناصر التي ما يزال تستثمر التوطين بالموضع، سواء كعشائر كانت إباضية ثم غلب عليها التشيع[55] أو كعناصر دخلت المدينة حديثاً، وما يبرهن عن صحت "صورة" الوضع السائد أنذاك هو ما جاء في وصفه بعض الجغرافيين من القرن الرابع للهجري (10م)، يتقدمهم ابن حوقل الذي بين بوضوح أن "فيها جامع وفي المحدثة أيضا جامع ولكل إمام وخطيب[56]"، ويطابقه العزيزي في قوله أن بها منبر[57]، ونفس الشيء لم يفارقهم عنه المقديسي[58].

بعد هذه المرحلة التاريخية لسنا نقف عن أي بلاغ حول المسجد الجامع، سواء في كتب الرحلة ولا حتى في نصوص التاريخ العام، وهو الأمر الذي ربما يستطيع أن يؤكد نهاية العهد بهذه المؤسسة الدينة بطريقة تبقى في حكم المجهول.

3_ السوق.

من المهم بالنسبة لنا الوقوف على درجة النشاط التجاري وطبيعة السلع وحتى نوع وطاقة المبادلات بين المحيط الريفي الذي كثيرا ما يكون جزء تابع في حاجته للمدينة، وقدرة سوقها كمحطة استراتيجية لتدفق تجارة قوافل الصحراء على هذا المركز الحيوي بامتياز، لكن يظل من الصعب جدا أن نستطيع معرفة جميع ذلك في المدينة تيهرت الأعلى نظرا لطبيعة المصادر الجافة حولها.

إن أولى الإعلامات حول السوق أهلت متأخرة نسبيا، فهي ترجع إلى القرن الرابع الهجري (10م) عندما عاين الرحالة–التاجر ابن حوقل بنفسه القاعدة، وبحكم صنعته لم يفوت على الإطلاق فرصة تثبيت ملاحظاته عن هيئة التجارة الموجودة فيها بأسلوب مقارناتي مع المدينة الثانية التي شيدها الزعيم ابن رستم وذلك بنعته أن "التجارة والتجار بالمحدثة أكثر[59]". إن النص وإن كان لا يشير صراحة إلى وجود السوق فهو بلا ارتياب يحمل البديل الذي يقضي إلى وجوده، إذ لا يمكن أن نتصور وجود نشاط تجاري بشكل منظم في ظل غياب السوق والرقابة التي تمارس عليه من قبل المحتسب. كما يصف المقديسي خلال نفس القرن أن الفضاء التيهرتي بالإجمال كان رشيق الأسواق[60]. والشيء ذاته بالنسبة للإدريسي خلال القرن السادس الهجري (12م) الذي تعين عليه نقل أخبار سابقيه نجده يكتب "وبها ناس وجمل من البربر لهم تجارات وبضائع وأسواق عامرة[61]".

يطرح تحديد موقع السوق إشكالاً من الصعب اقتراح مكان لتواجده. ومع ذلك يمكن الاستثمار في الإشارة السابقة التي عرضها المقديسي في شكل صورة تقريبية توجب أن موضع السوق لم يكن بعيداً المسجد الجامع للمدينة[62]، وهذا ما يفترض أن ينتصب عند باب الجنوب الغربي باعتبار أنها الواجهة التي تستقبل القادمين إلى المدينة، زيادة على أنها الناحية الوحيدة التي تضمن وجود ثلاث مداخل متجاورة لتسهيل القدرة على حركية التنقل للباعة والمشترين معاً، كما أنها تكفل الحفاظ على حرمة السكنات الموجودة في المنطقة الخلفية.

أما بالنسبة إلى معطيات كادنة (Pierre Cadenat) الأثرية حول اكتشاف مهم في الجهة الجنوبية الشرقية أثناء عملية تطوير المنحدر لاثنين من القباب المتصلتين، يتحدث أنه لم يكن باستطاعته التعرف على الفترة التي يعود إليها[63]، وبما أن الموقع يتطابق ونفس الجزء من المساحة التي نفترض وجود السوق عليها، فمن المحتمل جدا أن يكون هذا الاكتشاف يأخذ شكل المطامير لتخزين نوع مؤقت من السلع حسب الشكل.

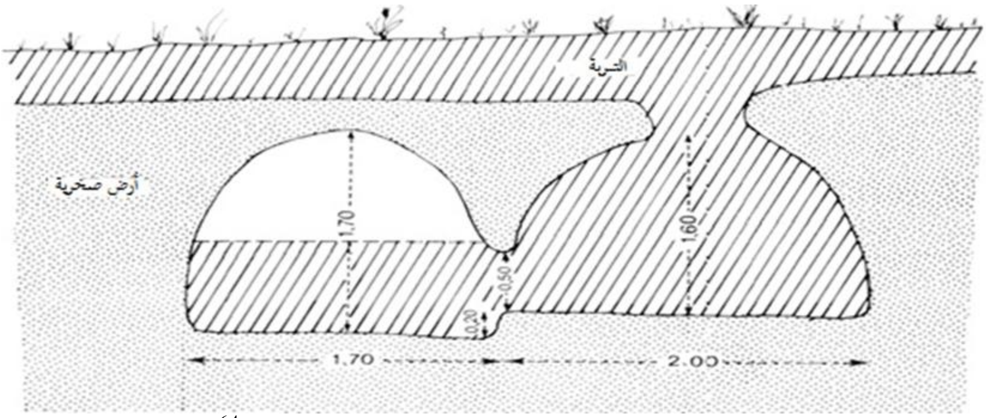

شكل (المطامر)، مقتطع من مقال كادنة (Pierre Cadenat) [64]

4_ الحمامات.

بلا شك أن الحمامات هي نوع هام من متطلبات المنطقة الحضرية التي حظيت بها معظم المدن الإسلامية، ولقد أشار لوحده ابن حوقل أنها كانت موجودة فعلا في الموقع[65]. ولم يأتي من بعده أي نص وسيطي يقضي بتخصيص منازلها من المدينة، شأنها في ذلك حال الكثير من توزيع الدور والقصور داخل منطقة الأسوار، وحتى المقابر عندما تكون في الخارج.

من خلال كتابه الأثار القديمة بالجزائر وفي قسمه الخاص بالحمامات، يشير قزال إلى أن المدينة الرومانية كان بها حمام في أسفل الجهة الجنوبية، موضحا أكثر أن هذه الأنقاض التي كانت مهمة للغاية اختفت بالكامل تقريبا في وقته، كما ارشد أنه من الممكن أيضا حسب ما بقي منها ملاحظة وجود غرف تبدو ذات اقواس[66]، ولم يفوت الفرصة على نفسه عند إعادة توضيح أثار المنطقة القديمة في الأطلس الأثري أن يذكر وجود بقايا الأنبوب الذي كان يزودها بالماء[67].

قبل حوالي 58 سنة إلى الوراء من شهادة قزال، نجد أن الضابط أزيما منح هو الآخر مخطط يتطابق كليا والموضع في جهة الجنوب عند المبنى (A) (طالع التحديد المعروض على المخطط السابق)، بحيث يحمل غرف ذات أقواس تتقارب من حيث التشكيل بما أوعز إليه قزال، وموضحا في السياق ذاته أنه الوحيد الذي تم الحفاظ عليه بشكل جيد. لكن وبحكم أن الرجل له تحصيل عسكري غير مختص في علوم

الأثار القديمة، تسرع في الاعتقاد أنه كنيسة يعود بنائها إلى القرون الأولى للحضور المسيحي على هذه الأرض[68]، وهذا بطبيعة الحال غير مقبول في ظل غياب المعطيات الكافية التي تؤكد أفكاره.

بطابعه الهندسي، يبدو من الصحيح أن الحمام يرجع في بنائه إلى الفترة القديمة، لكن هذا لا يحجم امكانية معاودة الاستفادة منه خلال العصر الوسيط، بحكم أنه حافظ على استمرارية وجوده بالشكل القوي إلى هذه الفترة المتأخرة جدا. كما يمكن أن نشاهده وهو لا يشارك الفضاء الذي يمكن أن تدافع عنه جدران المدينة. (*تأمل المخطط*)

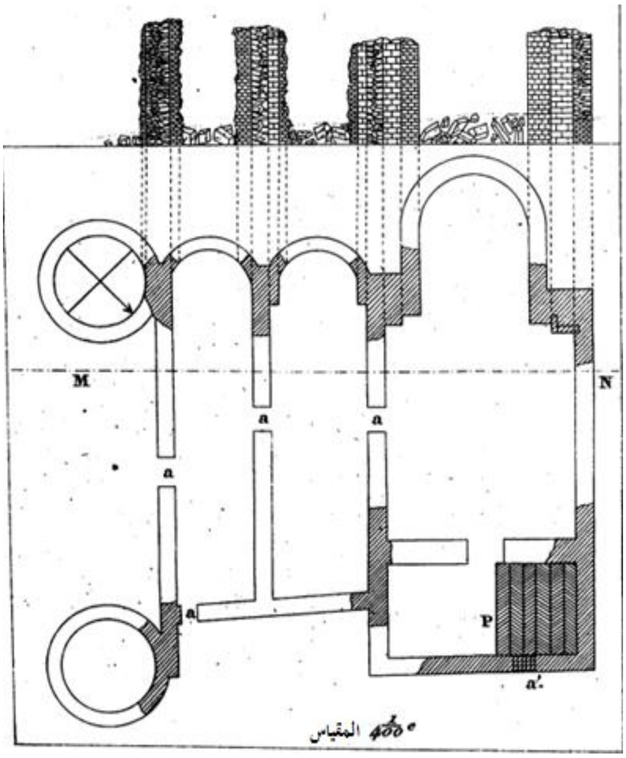

مخطط أزيما «Azéma» المُشَكل في سنة 1843م والخاص بأثار المبنى A .

الأجزاء المتبقية.
بقايا الأساسات.

a . الأبواب.
à . أبواب بقيت موجودة.
P . مساحة عليها رصف أرضي.

5_ سور المدينة.

ليس ثمت شيء محكم يمكن أن يضمن للمدينة استمرارية وجودها من دون حائط يفصل ويحمي الداخل عن الخارج، بل إنه وبكل بساطة ليس هناك أصلا حظوة لتجمع سكنات مستقرة يطلق عليها اسم المدينة من دون سور يلتف من حولها ليجمعها. فهو بالفعل من الأنظمة الاستراتيجية المطلوبة حتى يجمع التحضر في حيز واحد، ويدافع السكان عن بقائهم لاسيما في أوان الأزمات والاعتداءات الخارجية.

لدينا نص فريد لابن حوقل يشير فيه بصريح العبارة إلى وجود السور في الموقع الذي نستثمره، وذلك من خلال توضيحه القائل أن "القديمة ذات سور وهي على جبل ليس بالعالي[69]"، أما بالنسبة إلى الإصطخري فقد اكتفى ليخبرنا أنها مدينة كبيرة ولم يقدم تفاصيل إضافية[70]، وكعادته الإدريسي خلال القرن السادس الهجري (12م) يستعين بنقل شهادات سابقيه[71].

بما أن الإدريسي اعتمد بنفسه أو بواسطة مخبريه على هذين الشهادتين لوحدهما _ ابن حوقل والإصطخري _ فلأن هذا ما كتب عن الموضع حتى ذلك الوقت، أو على الأقل ما أمكنه الوصول إليه، وهي بطبيعة الحال معطيات غير كافية للحصول على نظرة دقيقة فيما

تعلق بالمقاسات أو الشكل الذي كان يلتوي عليه السور، بل إن كل ما يمكن أن نفترضه هو أن هذا الأخير يبقى صناعة من الفترة الوسيطية لربط الحصن القديم مع باقي الزيادات الإباضية في صورة مدينة حضرية. ومع ذلك نرى أن أزيما كان له رأي مغاير حول الموضوع، فهو يذكر ما يملي عليه الواقع الذي ينوي أن يفكر فيه وينشره عن حضور البناء القديم وأزلية كامل المدينة، وذلك ما يظهر من خلال حكيه أن "هذه الأسوار والأبراج التي نتتبع أثارها بشكل مثالي على الأرض نجد لها نفس الجانب بالنسبة لباقي المدن الرومانية في مقاطعة وهران، بحيث هي كتل كبيرة من الحجر المنحوت على وجه واحد، مع وجود مرابط حديدية كانت تجمع بينهم(72)".

ومثلما سبقت الإشارة إليه، فإن العشائر البربرية القادمة في القرن الثاني (08م) استغلت المواد المتاحة في الموضع من خلال بناء متطلباتها الجديدة، وهذا الأمر نبه إليه بشكل لافت كل من كانيا (René Cagnat) سنة 1892م وقزال (Stéphane Gsell) سنة 1911م في ملاحظتهما أن المدينة نفسها التي تحيط بها المساحات الشاسعة من الأبراج والبعض الآخر من الملحقات التي بنيت من الحجر المربوط بالحديد تعود فعلا إلى فترة متأخرة عن التعمير الروماني، بمعنى الفترة الوسيطية(73). وأخيرا، إن تعليق القطعة "النقيشة" التذكارية المسجلة عند أسفل قوس الباب الشمالي حسبما أشار إليه فايسات (Vayssettes) سنة 1861م بأنها تحمل توقيع أسماء الإباضية القائمين على بناء المدينة(74)، لهو خير مثال على تحديد فترته الوسيطية.

إن الصمت الرهيب في مصادرنا التاريخية حول اعطاء مسافة محددة لطول السور لم تعوضه نتائج التقارير الأثرية، خصوصا عمل أزيما (Azéma) الذي لم يأل هو الآخر أي جهد في تحديد مسافة دورانه رغم أننا نعلم كيف تتبع أثاره بشكل مثالي، ومع ذلك يجب الاعتراف له بالجميل، بحيث أن المخطط الذي حققه سيسمح لنا باكتشاف حوالي 34 برج حراسة على محيط سور شبه مستطيل بأبعاد تبدو منتظمة جداً، وهو يخضع في البعض من المرات إلى انكسار حسب طبوغرافية المنطقة الجبلية المتحدرة في بعض الحواف، هناك 04 منها إضافية لدعم مراقبة الأبواب، وأخر احتمال وارد أن يكون أضيف خلال الفترة الكولونيالية على الفضاء المستغل والمتصل بالحصن القديم باعتباره يساوي نفس المسافة في الجدار الجديد (C) حسب ما نشاهده على المخطط.

لقد جرت العادة الدفاعية أن تكون المسافة بين كل برجي حراسة في بعض الأماكن 25م(75)، وحتى أننا في بقايا أسوار المدينة الجديدة "تاقدمت" تكون فعلاً قريبة من هذا القياس. وبالتالي فإن طول سور المدينة يساوي بالتقريب 850م.

الجدار	عدد الأبراج	المسافة
الشمال الشرقي	13	325م
الشمال الغربي	06	150م
الجنوب الغربي	10	250م
الجنوبي	05	125م

وبالتالي فإن متوسط طول المدينة هو 287.5م، وعرضها 137.5م، ما يعني أن إجمالي المساحة التي استثمرتها العشائر الإباضية في التعمير الحضري تكون بالتقريب 3.95 هكتار.

دائما حسب مخطط أزيما (Azéma)، يخترق السور بابان الأول يحتوي على ثلاث مداخل في الجهة الجنوبية، وهو الرئيسي الذي يستحوذ على المسلك الهام. والثاني في جهة الشمال الشرقي، وهو الأخر له مدخلان. فحسب إشارة فايسات (Vayssettes) يكون الباب في الأعلى مبني على شكل قوس[76]، وربما يتكرر ذلك مع جميع الأبواب لما لا. كما قد يكون من المحتمل جداً أن هناك مخرج ثالث لم ينتبه إليه أزيما، فهو يقتحم الجانب الشمالي الشرقي حيث يشتمل على منفذ وحيد، ومن بين ما يؤكده طبعا هو وجود برجين متقاربين، ولا يحدث هذا سوى عند البوابات من أجل دعم المراقبة الشديدة لجميع ما يدخل أو يخرج من المدينة، ومن الجدير أيضا بالملاحظة أنه لمن البعيد التحول إلى استعمال أحد المخرجين الأخريين انتقالا إلى هذه الناحية البعيدة نسبياً[77]، في واقع الأمر أنه يبدو أقل أهمية استراتيجية. أما بالنسبة للجهة الرابعة والأخيرة فمن المعقول جداً أنها بقيت من دون منفذ، بحيث تبدو محمية مباشرة ولا تسمح الطبوغرافية الصعبة التنقل من خلالها. أما بخصوص ما إذا وجدت ألقاب تم رميها على الأبواب فهذا الجانب يبقي مشوه كلية وليس هناك ما يشير إليها في مصادرنا. وأخيرا إن ما يظهر على اللوحة الأكونوغرافية الوحيدة التي أنجزها لويس بودان (Louis Boudan) عن المدينة في سنة (864هـ/1460م) وهي محفوظة في خزانة المكتبة الوطنية الفرنسية تعكس إشارة واضحة إلى وجود سور قوي عليه شرافات دائرية مربوطة بمسلك الحراسة، كما تُعلم عن وجود الحصن في الداخل المشرف على الوادي، لكن لا تتطابق في جميع الحالات مع وضع مخطط أزيما الذي يبدو أكثر مصداقية، بل نجدها تقدم شعور عن مسيحية المنطقة أكثر من أي شرح آخر[78].

6_ الدروب.

المعروف عن الدرب أنه أكبر وحدة اتصال وأكثرها اعتمادا لربط علاقات داخلية حيوية بين مختلف أجزاء المدينة، ونجده في الغالب ينطلق من المركز وينتهي عند منصات الأبواب الخارجية، وبحسب كثرتها يكون عدد الدروب، علاوة على ذلك فهو يتفرع بدوره إلى مجموعة من الأزقة التي تضمن الوصول الرشيق إلى أبعد نقطة في الأطراف.

في المدينة تيهرت هي غير معروفة جيداً. ومع ذلك لدينا نص وحيد يختص بجغرافية مشرقية تعود إلى المقديسي خلال القرن الرابع للهجري (10م) يفيد من خلاله أن "دروبها المعروفة أربعة باب مجانة، درب المعصومة، درب حارة القفير، ودرب البساتين، بقربها مدينة تسمى رها وقد خربت[79]". لكن مع الأسف الشديد أن هذا النص أمامنا لا يسمح بتحديد أي واحدة من المدينتين كان ينوي المؤلف الإعلام عنها.

لم تثر هذه النقطة الأخيرة خلافات محتملة عند البعض من المهتمين بدراسة المجال التيهرتي على الرغم من أنها تستحق لوحدها المزيد من التفتيش. فالباروني من خلال كتابه الأزهار الرياضة تحدث مباشرة أنها تختص بتاقدمت دونما عرض تفسيرات يلخص من خلالها ما يعزز وجهة كلامه[80]. وهي تقريبا نفس النية التي تبناها التونسي عثمان الكعاك كقاعدة وليس مجرد افتراض في كتابة موجز التاريخ العام للجزائر[81]. وتناولها من بعد ذلك عبد الرحمان خليفة بنفس الكيفية أيضا[82]، غير أن هذا التقدير في نظري يبدو ضعيف إلى حد ما بالتطلع إلى وجود بعض التحقيقات.

إن ما يوضح عدم قبول اختصاص هذا النص بالمدينة الرستمية الجديدة هو أن معارفنا التاريخية والأثرية لا تسجل أي موضع مدينة بالقرب من تاقدمت سوى قاعدة تيهرت الأعلى نفسها، عكس هذه الأخيرة التي يحيط بناحيتها الشرقية والشمالية الشرقية جملة من المواقع

الأثرية التي تشكل طبقات تاريخية متفاوتة[83]. كما لا يخفى أن هذا التواصل الطوبونومي ـ رها = لوها ـ كان لا يزال يسجل حضوره حديثا على الميمنة الشمالية الشرقية من أثار مدينة تيهرت التي نبحثها، وتحديداً عند عرش أولاد لقرد في سفوح الونشريس حسب ما هو مبين في الخارطة التي أعدها دوفور أوغست هنري (D. Auguste-Henri) في سنة 1838م حول الجزائر وجزء من البحر المتوسط لتوضح العلاقة بين إفريقيا وقارة أوربا[84]، أو تلك التي أنجزها كل من أوغست وارنييه (Auguste Warnier) وكاريت إرنست (Carette Ernest) في سنة 1846م حول خارطة الجزائر المقسمة إلى مجموعة قبائل[85]، ففي هذا البعد المجالي نستطيع أننا نضمن تحديد المدينة التي أشار إليها المقديسي.

ومن خلفية ثانية، سيختفي التناقض الظاهر كلياً عندما يلوح بشكل مهم التطابق الإسمي مع توزيع الفضاء الحضري، وهذا ما يسمح دون شك في مساعدتنا على رسم خطوط اتجاهاتها. بل إن كل لقب منها هو مرتبط أساسا بالفضاءات التي كانت تشرف عليها.

ـ درب المعصومة: يتوجه جنوبا نحو الباب الذي كان يربطها مع المركز السيادي للمدينة الجديدة[86].

ـ درب البساتين: إلى الجهة الشمالية الشرقية المشرفة على سهل سرسو الزراعي.

ـ باب مجانة: من اللافت أن يذكر هنا باب وليس درب[87]، وهو ينزل في حصن برقاجنة (الموضع أو الحظوة القديمة).

ـ درب حارة القفير: يبدو لدى البعض أن هذه العبارة صعبة التأويل! لكن ليس يوجد ما يقصى كتابتها بهذا الشكل الذي وردت به تحديداً، خصوصا أن هنالك من يلف تفاسير للمعنى تبدو غير مؤسسة على الإطلاق[88]. إن من يحدق في الاسم الكامل لهذا الدرب سيجده يبتدئ بلفظ "حارة"، وهي في الأصل من التعابير العربية المشرقية التي نسجل لها حضور ضعيف في بلاد المغرب، بما يفسر أن القفير لا يمكن أبداً أن يكون من اللغات المحلية مثلما يحاول أن يوهمنا به الباروني، هذا من جهة ومن وجهة مبينة فهو في لغة العرب قديما وحتى حديثا يعني اجراب النحل، ويأخذنا هذا لنتذكر إشادة ابن حوقل في وصفه لبلدة تيهرت بكثرة العسل فيها[89]. بالإضافة إلى أن الجهة الشمالية الغربية هي المنطقة الوحيدة الرابعة الباقية من دون درب، كما أنه من غير المستبعد أيضا أن تستقر هذه الحارة حيث تقل هناك حركة السير. وأخير، إن هذا سيؤكد مرة أخرى دليل وجود الباب في هذه الجهة كما سبق وبيناه.

الخاتمة:

في نهاية هذه العرض الوجيز نخلص إلى أن تحديد موقع المدينة خلال العصر الوسيط ليس بالأمر المعقد أو الغامض في معظم الشواهد النصية، في حين أن متابعة وجود موقعها اليوم بالتحديد وهو أمر مفيد جدا كان يحتاج إلى تتبع دقيق للمسار التاريخي الذي مر به الموقع، خصوصا خلال الفترة الحديثة التي شهدت هبة قوية في تثبيت العمران الأوربي الجديد مما غير على الأقل طريقة البحث عن مقعد تشييدها.

إن دراسة تطور المشهد العمراني للقاعدة كشف في الأخير عن وجود تداخل أو بالأحرى ربط متعمد فيما بين عناصر العمران اللاتيني الذي مثلته بالأساس القلعة القديمة مع انشاءات الفترة الوسيطية لأجل تكوين مدينة حضرية صلبة ومستفاد منها في التحصين. كما لا يخفى أنه في ظل غياب الشواهد النصية (لأسباب مجهولة) لم نتوصل إلى معرفة دقيقة حول أهم العناصر البنائية التي اكتستها

القاعدة مع نهاية الفترة البيزنطية، سوى ما تأتى في شكل شذرات تضمنتها المصادر الوسيطية بطرقة غير كافية. إضافة إلى ذلك تم التعرف على البعض (وليس الكل) من مظاهر العمارة الإسلامية في جوف المدينة الرستمية ومن بعدها الفاطمية.

وأخير يمكن اعتبار أن الخلط المرعب الذي تضمنته النقول المتأخرة عن عصر قوة المدينة شكل هو الأخر عائق كبير أمام محاولة الفهم الشامل لتاريخانية الموقع والمجال التيهرتي عموما، وهو الأمر الذي ليس من السهل التغلب عليه إلا بعد دراسة نقدية ومقابلة لمحتوى ما اكتسته جميع تلك النصوص من دون استثناء.

الهوامش:

(01) علاوة عمارة، التطور العمراني والتجاري لمدينة بجاية في العصر الإسلامي الوسيط، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، العدد 26، 2008، ص 227.

(02) وهو الملاذ الآمن الذي لجأ إليه عبد الرحمان بن رستم وأتباعه لأجل حماية أبدانهم من الحصار الطويل والفاشل الذي ضرب عليهم من قبل عامل العباسيين على بلاد المغرب محمد بن الأشعث الخزاعي، وكان ذلك بعد سنة (144هـ/761م) أنظر: الدرجيني، طبقات المشائخ بالمغرب، تحقيق إبراهيم طلاى، قسنطينة، مطبعة البحث، ج1، ص 36. هذا وتبرهن لنا الطبونيميا الحديثة أن مجال الجبل سوف-أجج يقبع غير بعيد عن الجبل المعروف قوجيلة، ولقد تبين من خلال دراسة للباحث في علم الجيولوجيا والش (M. Welsch) حول الأراضي الجوراسية جنوب كتلة الونشريس نشرت سنة 1890م أن ظهر في عرضه للكتل الموجودة في الجهة هناك استعمال نفس هذا الطبونيم. M. Welsch, « Les Terraine jurassiques dans les environs de Tiaret, Frenda et Saida (département d'Oran, Algérie) », *Bulletin de la société géologique de France* , Paris, imprimerie le Bigot frères , V 18, (1890), P. 439.

(03) يشرح ابن خلدون في نص متأخر أن عشيرة لماية هي من استقبلت عبد الرحمان بن رستم بعد فراره من القيروان لقديم حلف كان يجمعهما. عبد الرحمان بن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مراجعة وإخراج سهيل زكار وخليل شحادة، لبنان، دار الفكر، 2000م، ج6، ص 159.

(04) طبونيم تلك الفترة الكلاسيكية هو غير معروف جيدا في المصادر اللاتينية ومع ذلك نرى محاولة البعض من الدارسين أن يقلد له رابطة تشابه من حيث الاسم الفيلولوجي مع أسقفية تنقارتيا (Tingariensis) الرومانية المفقودة في مجال موريطانيا القيصرية. ومن بين هؤلاء نذكر على سبيل المثال:
Oscar Mac Carthy, *Géographie physique économique et politique de l'Algérie*, Dubos Frères imprimeurs-libraires, Algér, 1858, p. 406; Odilon Niel, *Géographie de l'Algérie*, Legendre libraire, Bone, 1876, p. 462; Louis Piesse, *Itinéraire de l'Algérie de la Tunisie et de Tanger*, librairie Hachette, Paris, 1882, P. 270; Mgr Toulotte, *Géographie de l'Afrique chrétienne*, imprimerie Notre-Dame-des-Prés, 1894, P. 164; Farid Benramdane, «place Names in Western Algeria: Biblical Sources and Dominant Semantic Domains», Jewish Culture and Society in North Africa, Indiana University prisse, 2011, p. 40.

(05) في الحقيقة من المهم جداً الوقوف على قضية أسباب وتاريخ اختيار هذا الموقع بالذات لكن ليس هو نقاش هذا الموضوع.

(06) نستطيع القول بأنها منعدمة إذ استثناء بعض الجمل القصيرة الموجودة هنا وهناك.

(07) سيكون لنا بحول الله عمل لاحق يناقش المسائل الطبونونية في تيهرت على ضوء مصادر جديدة.

(08) حول هذا المؤلف ينظر التحليل عند: André Miquel, «La description du Maghreb dans la géographie d'al-Içt'akhrî», *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée*, n° 15-16, (1973), pp. 231-239.

(09) الاصطخري، المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الحسيني ومحمد شفيق غربال، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2004م، ص 34.

(10) حول هذه المدينة ينظر بشكل خاص: علاوة عمارة وزينب موساوي، مدينة الجزائر في العصر الوسيط، مجلة انسانيات، العدد 44-45، 2009م، ص 25-42.

(11) دراسة تستحق النظر حول هذا المصنف للباحث في إسلاميات القرون الوسطى جان كلود غارسين: Jean-Claude Garcin , «Ibn Hawqal, l'Orient et le Maghreb», *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée*, n° 35, (1983), pp. 77-91.

(12) ابن حوقل، صورة الأرض، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، 1992، ص 86.

(13) أحمد المهلبي، المسالك والممالك والمعروف أيضا بكتاب العزيزي، تحقيق تيسير خلف، دمشق، دار التكوين، 2006، ص 48.

(14) ليس من المستبعد أن يكون هذا الطبونيم المستعمل جزول نسبة إلى قبائل الجيتول (Gaetulus) التي عمرت هذا المجال الحدودي مع الصحراء خلال مرحلة قديمة.

(15) اليعقوبي، المسالك والممالك، مراجعة محمد أمين ضناوي، بيروت، دار الكتب العلمية، 2002م، ص 198.

(16) البكري، المسالك والممالك، تحقيق أدريان فان ليوفن وأندري فيري، تونس، الدار العربية للكتاب، 1992م، ج2، ص 733.

(17) نفسه، ج2، ص734. ومن بين المصادر المتأخرة التي نقلت حديثه نجد: الحموي، معجم البلدان، بيروت، دار صادر، 1977م، ج2، ص 7؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص 43؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، 1984م، ص 126.

(18) من المستبعد كليا أن تكون هذه الشهادة معتمدة عن الخبراء الذين تم ارسالهم بواسطة الملك روجر لكل بقاع العالم وذلك نظرا لعدم تماشي المعطيات مع مرحلة القرن السادس الهجري (12م) لتأليفه كتاب نزهة المشتاق، الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 2002م، ص 255-256.

(19) Azéma de Montgravier, «occupation de Tiaret (ancien Tahort des géographes Arabes)», *le spectateur militaire*, sept 1843, p. 667.

(20) Vayssettes, « De Boghar à Tlemcen en suivant la ligne des postes (septembre 1861)», *Revue Africaine,* v 6, (1862), p. 29.

(21) René de la Blanchére, «Voyage d'étude dans une partie de la Maurétanie Césarienne. Rapport à M. le Ministre de l'Instruction Publique et des Beaux-Arts», *in AMSL*, v 10, Paris, 1883, p. 72.

(22) Jean-Gérard-Louis Béchon de Caussade, «Notice sur les traces de l'occupation romaine dans la province d'Alger», *Mémoires de la société archéologique de l'Orléanais*, Paris, Dumoulin libraire Quai des Augustins, 1851, p. 263.

(23) Georges Souville, «Pierre Cadenat (1902-1998) », *Antiquités africaines*, v 35, (1999), pp. 25-28.

(24) Pierre Cadenat, «Curieuse tombe à étage dans une nécropole antique de Tiaret», *Antiquités Africaines*, v 3, (1969), p. 226.

(25) Tiaret, Alegria-Maps, U.S. Army, Corps of Engineers, Geographical section G.S.G.S 4275, G8344. T551 1943, U53, Library of congress (r47b1).

(26) في رواية تحصل عليها الكاتب الإباضي أبي زكريا تفيد أن المسؤولين على اتحادية الإباضية في ذلك الزمن (بحيث من الخطأ أن نعتقد في هذا الوقت المبكر بالقيادة الفردية قبل الخوض في مشروع المبايعة بالإمامة في زمن سيكون لاحق) بعثوا برواد يجوبون المناطق المتدانية بهدف دراسة وإختيار موقع تنصيب مدينة تحتويهم مستقبلا، وفي الأخير عادوا ودلوهم على استحسان مكان تيهرت هذه. أبي زكريا، سير الأئمة وأخبارهم، تحقيق إسماعيل العربي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1982م، ص 81.

(27) René Cagnat, *L'armée Romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs*, Paris, Ernest Leroux, 1892, p. 600.

(28) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تحقيق بشار عواد معروف مع محمود بشار عواد، تونس، دار الغرب الإسلامي، 2013م، ج1، ص 205.

(29) البكري، المصدر السابق، ج2، ص 735. في حين نشاهد أن مجهول صاحب كتاب الإستبصار يقدم هذا الطوبونيم بوادي تانس، أنظر: كتاب الإستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، الدار البيضاء، دار النشر المغربية، 1985م، ص 178.

(30) للبحث أكثر عن حجم التواصل الطوبونومي في مجالات واسعة من الفضاء المغاربي، فإننا غالبا ما نقف عليه يرتبط بأسماء لأودية تتميز بكثرة الأشجار وغزارتها، ومن الأمثلة التي تستحق الذكر وادي أغزر الذي أشار إليه ابن الزيات أسفل صور مراكش من جهة الشمال الشرقي، وهذا قبل أن تتطور مناداته بوادي إيسيل (ابن الزيات، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد التوفيق، الرباط، منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية، 1984م، ص 341 . وتحدث عنه أيضاً محمد البركة وأخرون في دراسة موضوع الطوبونيميا بالغرب الإسلامي أو ضبط الأعلام الجغرافية، إفريقيا الشرق، المغرب الأقصى، 2012م، ص 34.). بالإضافة إلى أغزر أملال وهو الوادي الذي يتسلل بين جبال الأوراس حيث ينشأ من منحدرات الشيليا وقمم أشمول وأريس. وهناك أيضاً أغزر أمقران في بجاية. وقصر أغزر بتيميمون ...كما لا بد من الإشارة إلى مدينة متيجة العصر الوسيط التي كانت تعرف بأغزرنة، وهي في الأصل تصحيف لطوبونيم إغزر حسب ما نبه إليه البكري خلال القرن الخامس الهجري. (البكري، ج2، ص744).

(31) البكري، ج2، ص 734- 735.

(32) حول مراجعة النسب في هذه الجماعات ينظر التحليل عند كل من:
Mbarek Redjala, «Les Barghwâta (origine de leur nom)», *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée,* n° 35, (1983), p. 121; Charles-Emmanuel Dufourcq, «La coexistence des chrétiens et des musulmans dans Al-Andalus et dans le Maghrib du Xe siècle», in Occident et Orient au Xe Siecle: *Actes du IXe congrès de la Société des Historiens Médiévistes de l'Enseignement Supérieur Public* Paris, (1979), p. 211.

(33) الحموي، المصدر السابق، ج2، ص 07.

(34) ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 50.

(35) Stéphane Gsell, *Atlas archéologique de L'Algérie (cartes),* Adolphe Jourdan, 1911, feuille 33 (Tiaret), n° 14.

(36) لا يخفى أن معظم النزاعات والمعارضات المحلية القائمة خلال الفترة الرستمية كانت تتجه نحو مركز العاصمة تاقدمت.

(37) ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص 191.

(38) نفسه، ج1، ص 205 . أنظر المزيد من التحليل عند: Allaoua Amara, «Les Fatimides et le Maghreb central: littoralisation de la dynastie et modes de contrôle des territoires», *Revue du Mondes Musulmans et de la Méditerranée*, 139, (2016), p. 117.

(39) Azéma, *op. cit.,* p. 675.

(40) لقد افترض الدارس أنه ربما كان صرح كبير وهذا استنادا على سمك جداره، مضيفا أنه كان يشتغل عليه برجين ولكن نظراً للاعتداءات أصبحت على مستوى الأرض. Vayssettes, *op. cit.,* p. 29.

(41) Stéphane Gsell, *op. cit.,* feuille 33, n° 14.

(42) من دون أدنى شك أن مثل هذه المرابط وعلى كبرها ساهمت بشكل وافر في زيادة الإنتاج المحلي لأنواع الدواب والماشية، وهو ما يعكسه أيضا تعبير المصادر الوسيطية في قولها: "وهي إحدى معادن الدواب والماشية والغنم والبغال والبراذين الفراهية " ينظر ابن حوقل، النص، ص86. وبعده نقل الإدريسي، النص، ص 255-256. والحِميري، النص، ص 126.

(43) في واقع الأمر بعد إعادة الاعتبار للموقع من قبل السلطات العسكرية الفرنسية لم يتباطآ نشاط توسيعه بالنظر لأهميته المطلوبة وكذلك الصعوبة المحتملة في مواجهة بقيا ثورة الأمير عبد القادر على هذه المنطقة المشتعلة، خصوصا بعد خسارة مركز تاقدمت الإستراتيجي في سنة 1841م، بحيث عمدوا إلى إضافة مساحة جانبية معتبرة من الحصن كما هو موضح في مخطط أزيما السابق من خلال الجدار(C)، ويمكن أيضاً في هذا السياق وبشكل دقيق تأمل آليه العمل ونفقات الإنشاء والترشيد التي تعين القيام بها خلال السنتين الأولى من بداية الاستيطان كما هو معلن عنه بالتدقيق من قبل وزارة الحربية الفرنسية في: *tableau de la*

situation des établissements Français dans l'Algérie 1844-1845, ministère de la guerre, imprimerie royale, Paris, 1846, p. 43-44. وفي ذات الشأن نجد لالمناند يشير في سنة1891م إلى مجموع التقسيمات التي أحدثها السطو الفرنسي على الموقع والحصن بشكل مهم، أن هناك الحي الذي يطلق عليه الحصن (la Redoute)، والمنطقة التجارية، فأما الحي العسكري، فهو يضم ثكنات المشاة، وثكنات سلاح الفرسان، ومخازن الذخيرة، ودائرة الضباط، كما يوجد بيت الصلاة "كنيسة"، بالإضافة إلى المستشفى أنظر: Charles Lallemand, *L'Ouest de l'Algérie. Réseaux exploités par la compagnie de l'Ouest-Algérien, lignes de l'Ouest-Algérien et de la Cie franco-algérienne,* Paris, Challamel et Cie, éditeurs, 1891, P. 160.

(44) الدرجيني، النص، ج1، ص 43؛ ينظر كذلك الشماخي، النص، ص 43.

(45) الدرجيني، ج1، ص 41؛ الشماخي، ص 43-44.

(46) نذكر هذا على سبيل ما طرحه محمد بن رمضان شاوش في الجامع الذي اسماه الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد التاهرتي (200_296هـ)، الجزائر، دار البصائر للنشر والتوزيع، 2011م، ص 21.

(47) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1991م، ص 229.

(48) طالع التفسير حول تأسيس مدينة القيروان وبناء مسجدها الجامع عند: محمد حسن، القيروان في عيون الرحالة، تونس، بيت الحكمة، 2009م، ص 33، 35.

(49) هذه القضية بالذات لم تدهمها الباحثة البلجيكية فرجينو بريفو الآخذة في دراسة التاريخ الإباضي أثناء عرضها لمقال حول المساجد الإباضية في بلاد الغرب الإسلامي. Virginie Prevost, « Les mosquées ibadites du Maghreb», *Revue du mondes musulmans et de la Méditerranée*, 125, (2009), pp. 217-232.

(50) محمد عبد الستار عثمان، أثر الأحكام الفقهية الإباضية على العمارة الإسلامية في المناطق الإباضية حتى نهاية القرن 6هـ/12م، عمان، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، 2015م، ج3، ص 66.

(51) الدرجيني، النص، ج1، ص 41.

(52) نفسه، ج1، ص 42.

(53) البكري، النص، ج2، ص 734-735. ينقل هذا القول عن شهادة محمد بن يوسف الوراق وعنه ينقل كل من الحموي، في النص، ج2، ص 7-8. والدرجيني، في النص، ج1، ص 43.

(54) يفترض أيضاً أن تكون المواد المستعملة في بناء المسجد الجامع بسيطة ومحلية تتجسد في الخشب الذي أستمد من الغابة بعد اصلاحها، بالإضافة الحجارة التي لم يلقوا فيها عناء القلع والنقل من مكان أخر، أو حتى صقلها، وإنما الحاصل هنا هو إعادة استغلالها من بقايا بعض المباني المهدمة أو تلك التي لم يُرى في بقائها من فائدة قصوى. فهذا الامتياز من دون شك ساهم في دينامية تطوير المدينة ككل خلال وقت وجيز جداً.

(55) يتحدث ابن خلدون أن الجماعات المستقرة في الفضاء التيهرتي (كل من لماية، وازداجة، ولواتة، ومكناسة، ومطماطة) قد أُلزمت في سنة 298هـ/910م بالتخلي عن إباضيتها والدخول في حوزة الشيعة، (العبر، ج6، ص160). ويشير ابن عذاري هو الأخر أن كل من هوارة ولماية قد أعادت البيعة مجددا للشيعة على المنطقة في سنة 313هـ/925م بعد مقاطعة قصيرة. ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص 205.

(56) ابن حوقل، النص، ص 86.

(57) العزيزي، النص، ص 48.

(58) المقديسي، النص، ص 229.

(59) ابن حوقل، النص، ص87.

(60) المقدسي، المصدر السابق، ص 229.

(61) الإدريسي، النص، ص 255-256؛ وهي ذات المعطيات التي ينقلها الحميري، النص، ص 126.

(62) المقدسي، المصدر السابق، ص 218.

(63) Pierre Cadenat, «Notes d'archéologie tiarétienne», *Antiquités africaines*, 24, (1988), p. 46.

(64) *Ibid.,* p. 46.

(65) ابن حوقل، ص 86.

(66) Stéphane Gsell , *Les monuments antiques de l'Algérie*, Paris, Albert Fontemoing, 1901, n° 28, p. 234.

(67) Stéphane Gsell, Atlas archéologique*, op. cit.,* feuille 33, n° 14.

(68) Azéma, *op. cit.,* p. 667.

(69) ابن حوقل، النص، ص 86. من المدهش أن يشير رشيد بوروبية في عمل له إلى وجود سورين رغم أن النص جاء واضح ولا يحتاج إلى مزيد من التأويل! أنظر: رشيد بورويبة، مدن مندثرة (تاهرت، سدراتة، أشير، قلعة بني حماد)، الجزائر، سلسلة فن وتراث، وزارة الإعلام والثقافة، 1981م، ص 13.

(70) الإصطخري، المصدر السابق، ص 34.

(71) لكن لابد الحذر هنا من التفسيرات التي يترجمها هذا الأخير بالخطأ حين يقول: "مدينتين كبيرتين احدهما قديمة والأخرى محدثة، والقديمة من هاتين المدينتين ذات سور". بحيث من يطالع وصفه هذا من غير إمعان يفهم وكأن المحدثة أو بعبارة أخرى المدينة تاقدمت ليس عليها السور، وهذا غير صحيح بطبيعة الحال. الإدريسي، النص، ص 255-256.

(72) Azéma, *op. cit.,* p. 667.

(73) René Cagnat, *op. cit.,* p. 600; Stéphane Gsell, Atlas archéologique, *op. cit.,* feuille 23, n°14.

(74) Vayssettes, *op. cit.,* p. 30. لكن يبقى من المؤسف حقيقة أننا لا نعلم أين ولماذا تم اخفائها بعد ذلك

(75) دومنيك فاليريون، بجاية ميناء مغاربي 1067_1510، ترجمة علاوة عمارة، الجزائر، المجلس الأعلى للغة العربية، ج1، ص 143.

(76) Vayssettes, *op. cit.,* p. 30.

(77) يجب الأخذ في الحسبان أن من تكوينات المدينة المشيدة حديثا العلم بوجود مسلك عند نفس الباب المشار إليه، وقد عرف بطريق مستغانم (M. Fabre, *op. cit.,* p. 47.) وهذا ربما يفسر أنه كان معروف قبل ذلك.

(78) Paris, BNF, département Estampes et photographie, 12148/btv1b6902300h .

(79) المقديسي، النص، ص229.

(80) الباروني، الأزهار الرياضة في أئمة وملوك الإباضية، تونس، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، 1986م، ج2، ص 45.

(81) عثمان الكعاك، موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2003م، ص 120.

(82) Abderrahmane Khelifa, «*L'urbanisation dans l'Algérie médiévale*», Antiquités africaines, n° 40-41 (2004), p. 280.

(83) ما يزكي هذا الطرح الملاحظات الميدانية والدراسات الأثرية _ القليلة جداً _ التي أجريت حول المنطقة، بما في ذلك أعمال الفرنسي بيار كادنة.

(84) Dufour, Auguste-Henri, *Carte de l'Algérie et d'une partie de la Méditerranée indiquant le rapport qui existe entre l'Afrique et l'Europe*, Bibliothèque nationale de France, département Cartes et plans, Ge DL 1838-2.

(85) W. Auguste et C. Ernest, *Carte de l'Algérie divisée par tribus*, Bibliothèque nationale de France, département Cartes et plans, GE B-2285 (RES).

(86) لقد كانت المدينة طيلة فترتها الرسمية تابعة لمصدر الحكم في العاصمة تاقدمت، كما لا تفصح لنا المصادر عن تكوين أي نوع من الاستقلالية.

(87) بطريقة غير مقبولة على الإطلاق، نجد أن عثمان الكعاك يغير كتابة الباب إلى درب دون الإشارة إلى ما يقوم فعله ذلك. عثمان الكعاك، المرجع السابق، ص 120.

(88) على سبيل الحالة: يذكر الباروني أنه رآه يكتب القفير (بتقديم القاف على الفاء) في كلية ما اطلع عليه من النسخ، ويشير في الوقت نفسه إلى احتمال أن يكون هذا من لغة العامة لأجل توضيح وجود مركز للفقراء وبالتالي أسند الدرب إليهم(الباروني، المرجع السابق، ج2، ص 45.) لكن الواضح أنه لا يوجد في

سواد مصادرنا الواصلة إلى غاية اليوم ما يثبت وجود جماعات بعينها تنعت أو ينسب إليها الفقر، ولو نتخيل أن الأمر كان كذلك فالواجب أن تكتب حارة الفقراء جمعا وليس مفرد، وبالتالي فإن هذا التحليل معترى من الصحة.

(89) ابن حوقل، المصدر السابق، ص 86.